مائة صورة من الحياة

للأستاذ علي الطنطاوي

٦ — رطل عنب

كان عندنا منذ أسبوع عمال أنفذهم صاحب المنزل ليصلحوا شيئاً في الدار . وابتغاهم من الأرمن ولم يسمع نصيحتي اليه بأن يستبدل بهم عمالاً من أهل البلد ، وتعلل على بأن هؤلاء أجود عملاً ، وأقل كلفة . ولقد وجدتهم والله كما قال : عملوا في اليوم ما لا يعمله غيرهم في الثلاثة ، فكنت أرقبهم وأدرس طبائعهم فما أنكرت منهم شيئاً حتى أظهر الظهر وزال النهار ، فقطعوا العمل ، وقعدوا يأكلون ويستريحون ، فلم يجدوا العنب ، والعنب الأحمر في الشام قوام حياة العامل لقلة ثمنه ، وكثرة فائدته ، وإن من يأكله إنما يأكل الصحة والقوة ثمراً شهياً ، فبعثوا أحدهم ، بقروش ليشتري لهم رطلا ، وليثوا ينتظرون ... فمضى ربع ساعة وربع آخر ، وربع ثالث ، ولم يحضر ، ثم جاء يلهث من التعب ، فلم أتمالك أن صحت به :

— أين كنت يا هذا ؟ أرحلت في طلب العنب ، والعنب ملء الأسواق ؟

— قال : لقد اشتريته من (البرامكة) ؟

— قلت : من البرامكة ؟ على مسافة كيلين اثنين ؟ ولم هذا العناء ؟ ...

— قال : لم أجد بائعاً أرمنياً إلا هناك ! ! ...

٧ — أبوه !

أخبرني صديق لي من جلة العلماء ، قال :

كنت أتولى المدرسة الخيضرية ، وهي من المدارس القديمة في دمشق ، فجاءني ذات يوم شيخ هرم عليه ثياب أخلاق ، وعمة بالية ، فأقبل على استحياء يسألني عملا في المدرسة وظيفته خمسة أرغفة في اليوم . فأعطيته الذي يريد ، ولم أسأله عن نفسه حتى مرت أيام ، فخبرني أن له ابناً ، ولكن ابنه يمرض عنه وينكره ، فعجبت من ذلك وقلت له : من هو ابنك ؟

— قال : فلان !

فلما سمعت الاسم صمتُّ ، وعدت أسأله :

— فلان ؟ الأستاذ الكبير ، صاحب الشهادات الكبرى من أوربا ..؟

— قال : نعم ، هو والله ابني . ولقد أنفقت عليه مالي وشبابي ، فلما صار شيئاً ، جزاني شر جزاء ، وجعل مكافأتي الانكار والاحتقار ، واضطرني إلى سؤال الناس وإراقة ماء وجهي في رغيف من الخبز

فقلت : أنا أكلم ابنك ، فهو صديقي ...

قال : لا ، لا تفعل سألتك بالله . . . فانه ان عرف أني خبرتك ضربني وآذاني . لقد حرم عليَّ أن أنبيء أحداً أني أبوه !

قال صديقي الأستاذ : هذا والله ما كان ، ما زدت فيه حرفاً ولا نقصت ! ...

«دمشق»

علي الطنطاوي

---

٣ — لا بد من جنون أيها العقلاء !

ولكن أيضاً ...

لا بد من جنون أيها العقلاء لندرك !

لا بد أن نصر على هذا النداء :

أمسكي الماء أيتها الغرابيل ... اقبضي على الريح أيتها الأصابع. امضي الهواء أيتها الأضراس ... أدلي الدلاء إلى السراب أيتها الأيدي ... اطحني القرون أيتها الطواحين ...

٤ — الأعمى والمرآة

— وهذا الاصرار هو أماني أعمى ينظر في مرآة ! ليرى فيها خيوط ضوء من أفق مجهول يقع على وجهه المجهول لديه الخالد في الظلام بخلود أقفال عينيه !

إنه يتعزى بأن المرآة هي التي تراه ... فاعذروه واتركوه يقلب وجهه فيها ...

عبد المنعم خلوف